الأحكام في زمن الكورونا

أحكام الشرائع السماوية تتميّز عن الأحكام الوضعيّة لأنها صادرة عن الله تعالى، فلا ينتابها الشكّ والتقصير، وتناسب مختلف الظروف والأوضاع، ففي كل مسألة هناك رؤية شرعيّة وحكم بسطه الله تعالى لمصلحة العباد والبلاد، وقد كشفت التقارير العلميّة والنفسيّة بالتجربة أن أحكام الله تعالى إنما جاءت منسجمة مع حاجة الفرد والمجتمع. وبغض النظر عن الامتداد في العصور والأزمان فإنها عالجت وتعالج ما يعترض الإنسان من محنٍ وشدائد، تسهم في الوصول إلى غايات سليمة وأمينة، ولا تغادر التوصيات الشرعيّة المستندة إلى الآيات الكريمة والروايات الشريفة.

ومع كل ما سبق فقد فشل كثير من الناس في تجربتهم مع أحكام الله تعالى في زمن الفتنة وانتشار الوباء، بل بلغ الحال ببعضهم أن يعمد إلى تغيير سُننٍ وآدابٍ قد وجبت، ليس لأنه مضطر لذلك و إنما تسويفًا وتماديًا أو تهاونًا مع القيم والثوابت، وهذه من الموبقات التي ينبغي على الناس الالتفات إليها فضلًا على المؤمنين الذين كانوا موضع خطاب الله تعالى في مواضع التكليف والتشريع.

ومن المناسب أن استشهد بحالة أثارت استغرابي وأذهلتني، إذ رنَّ هاتفي و إذا بأحد المتّصلين وقد بدت عليه الرهبة والحيرة، وكان كثير التردّد من السؤال فلما اطمئنَّ صارحني بأمر عظيم، إذ قال: ماتت أمي قبل فترة واتّفقنا مع بعض الإخوة في المشفى على تسجيل إصابتها في الأوراق الرسمية بفايروس الكورونا، وقد قصدنا بذلك التخلّص من المعزّيين؛ لأنّنا في منطقة شعبية، ثم ذكر أنه في تلك الأيام كانوا يدفنون من يموت بالفايروس برعاية خاصة من دون مشاركة أهل الفقيد، وعند التثبّت من الأمر تبيَّن أنه لم يكن هناك من تغسّل النساء فاضطر الدفّان إلى تعويض الغسل بالتيمم، ثم دفنت (الوالدة)،

وبعد أيّام أدركنا أنه قد ارتكبنا الخطأ، وبعد مشاورات بين الإخوة اتّفقوا على السؤال عن الأحكام، فكانت الإجابة مثيرة، باعتبار أن هناك ثوابت في الإسلام ومنها عند الموت يجب الغسل والتحنيط والتكفين والصلاة على الميت وغير ذلك، والظاهر أن السائل كان يحاول بسؤاله أن يحصل على إجابة تساعده في تمرير هذا الخطأ، فتفاجأ بأنه ينبغي عليكم أن تبادروا إلى فتح القبر ونبشه ، ثمّ إعادة غسلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ثم تجهيز دفنها، علمًا أن هذا الأمر يدار بعناية ورعاية خاصّة من قبل ثلّة مؤمنة من أبناء الحشد الشعبي في مقبرة وادي السلام، إلّا أن الأمر كان مع موتى النساء مختلف، إلى أن تبرّعت بعض المجاهدات إلى تبنّي ذلك، أما ما سبق فقد كان التيمم بدل الغسل.

الأمر الذي ينبغي أن نلتفت إليه أن أحكام الإسلام رحمة مهداة من الله تعالى، وعلينا جميعًا أن نبادر إلى الالتزام بها وعدم التهرّب منها، أو التثاقل عن أدائها، فحينما تكون الوقاية واجبة رعاية لحفظ النفوس وعدم انتشار الفايروس، فهذا لا يعفينا من احترام الواجبات، أو التخلّي عنها لأسباب مخجلة وغير منطقيّة؛ لأنه في المقابل نتحمّل إثمًا كبيرًا، فما ذنب المرأة رحمها الله تعالى ليُكشف قبرها ويُنبش مرة أخرى؟ ثمّ أين دور الأجهزة الرقابيّة والحكوميّة لمنع هكذا تجاوزات في تسجيل المرضى والموتى في سجلات المصابين بالفايروس لأسباب عبثيّة ماليّة أو تهرّبًا من إقامة العزاء واستقبال المعزّين، وإن كانت هذه الأخيرة غير واجبة، فلست مرغمًا على إقامة العزاء واستقبال المعزّين ولكن ينبغي عليك الالتزام بأحكام الأموات، وينبغي على الأجهزة الرقابيّة متابعة الأمور بدقّة ومحاسبة من يتسبّب بتزوير السجلّات وإطلاق أحكام خاصة على المتجاوزين، علمًا أنَّ الجميع بعين الله تعالى وهو أحكم الحاكمين.